



إن من تقدير الله - عز وجل-. أن وافق الليلة خسوفٌ كليٌ للقمر، مضيًّا ثلاثة أشهر تماماً على الثورة السورية المباركة -بإذن الله-. ثلاثة أشهر قدم فيها الشعب السوري - ولا يزال - التضحية تلو الأخرى، والشهيد تلو الآخر، تشرد فيها الآلاف، وقتل فيها الآلاف، واعتقل فيها الآلاف، وجرح فيها الآلاف. فإلى الله المشتكى، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة لنا إلا به.

ولا يستعجلن أحد القراء فهم العبرة، ليذكروا بأن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فكلنا نؤمن بهذا ونؤمن به. لذا سأشعر بالمقصود ليتضح المراد.

في ليلة حalkة الظلام، غاب ضوء قمرها، لا لأنها آخر ليالي الشهر، بل هي ليلة بدر مكتمل، اشتد ظلامها، وعظم كربها. نعم .. فالكسوف آية عظيمة يخوف الله بها عباده كما حدثنا بذلك الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم -. ونحن تنادي لصلاة الخسوف.. الصلاة جامعة.. الصلاة جامعة.. اهتز كياني.. واقشعر بدني. ولم لا نخاف ونوجل ورسول الله - صلى الله عليه وسلم -. خرج خائفاً يجر رداءه لما كسفت الشمس؟!

لكني في ظل هذا الخسوف الذي وافق انقضاء ثلاثة أشهر على ثورتنا المباركة -بإذن الله-. وعندما تأملت حادثة الكسوف على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وما فيها من دروس وتوجيهات، جالت في حنايا نفسي ووجداني خواطر ووقفات:

1. الخسوف والكسوف أمر عظيم لا يتبعي أن يمر علينا مرور الكرام, فالله - عز وجل-. قال: {وما نرسل بالإيات إلا تخويفاً}، وخطب رسولنا - صلى الله عليه وسلم -. بالناس بعد صلاة الكسوف قائلاً: ((أما بعد، فإن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده، فينظر من يحدث توبة، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة وإلى ذكر الله ودعائه واستغفاره)).

2. الخسوف الذيرأيناه اليوم خسوف كلي يهز القلوب الحية الوجلة التي تشهد قدرة الله - عز وجل-. ولو تأملنا مراحله فهو يأتي في ليلة بدر مضيئة، ثم خسوف جزئي يزداد ويزداد حتى يذهب ضوء القمر بالكلية، وهي أشد حالات الخسوف وأحلكتها، ثم يبدأ القمر بالظهور تدريجياً حتى ينجل في آية عظيمة لا يعقلها ويتدبرها إلا العالمون.

3 - ما علاقـة هـذه الآية العـظيمـة بـعنـوان المـوضـوع .. إنـني لـما نـظرـت فـي هـذا الـخـسـوف الرـهـيب المـخـيف، تـأـملـت فـي الـخـسـوف الـذـي أـصـاب سـورـيا مـنـذ أـربعـين عـامـاً وـلا يـزالـ. نـعـم هـو ظـلـام أحـاط بـها وـغـطـى ضـيـاءـها كـمـا يـغـطـى الـخـسـوف ضـوءـ الـقـمرـ. بـعـد أـنـ كـانـت عـظـيمـة الضـيـاءـ وـالـبـهـاءـ وـحـاضـرـةـ الـعـالـمـ الإـسـلامـيـ.

فـأـعـطـانـي ذـلـك مـزـيد يـقـينـ وـإـيمـانـ بـالـلـهـ -ـعـزـ وـجـلـ- بـأنـ هـذا الـخـسـوف الـذـي غـشـى سـورـيا قـدـ آذـنـ بـالـزـوالـ وـالـرـحـيلـ. أـلـيـسـ نـهـابـ ضـوءـ الـبـدرـ بـالـكـلـيـةـ هوـ أـشـدـ حـالـاتـ خـسـوفـهـ، حـتـىـ إـذـا اـخـتـفـىـ رـجـعـ لـيـنجـلـيـ منـ جـدـيدـ .

وـهـاـ هوـ خـسـوفـ سـورـياـ وـالـظـلـامـ الـمـخـيـمـ عـلـيـهـاـ مـنـ الـظـلـمـ وـالـقـهـرـ وـالـبـطـشـ وـالـعـتـقـ وـالـإـفـسـادـ وـالـبـغـيـ فـيـ الـأـرـضـ هوـ فـيـ أـشـدـ حـالـاتـهـ، وـظـلـامـهـ فـيـ أـحـلـكـ مـرـاحـلـ بـعـدـ أـنـ كـانـتـ بـدـرـاـ وـضـيـئـاـ فـيـ جـبـيـنـ هـذـهـ الـأـمـةـ، أـفـلـاـ يـكـوـنـ هـذـاـ إـيـذـانـاـ بـقـرـوبـ الـفـجـرـ وـانـجـلاءـ الـغـمـةـ بـعـونـ اللـهـ وـقـدـرـتـهـ .

4 تـأـمـلتـ حـالـ النـبـيـ -ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- لـمـ كـسـفـتـ الشـمـسـ، خـرـجـ -ـعـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ- فـزـعـاـ يـجـرـ رـدـاءـهـ. وـنـادـىـ بـالـنـاسـ الصـلـاـةـ جـامـعـةـ، فـصـلـىـ صـلـاـةـ طـوـيـلـةـ، وـصـلـىـ مـعـهـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ، وـبـكـىـ بـكـاءـ طـوـيـلـاـ، ثـمـ خـطـبـهـمـ خـطـبـةـ بـلـيـغـةـ، وـوـعـظـهـمـ مـوـعـظـةـ عـظـيمـةـ.

تـأـمـلتـ حـالـهـ -ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ-، فـإـذـاـ بـهـ (ـكـانـ إـذـاـ حـزـبـهـ أـمـرـ فـرـعـ إـلـىـ الصـلـاـةـ)ـ . أـفـلـاـ يـكـوـنـ لـنـاـ فـيـ ذـلـكـ أـسـوـةـ وـنـحـنـ نـمـرـ بـأـحـلـكـ مـرـاحـلـ الـظـلـامـ فـيـ سـورـياـ أـنـ نـفـزـ إـلـىـ الصـلـاـةـ وـالـرـكـوـعـ وـالـسـجـودـ وـالـانـطـراـحـ بـيـنـ يـدـيـ اللـهـ -ـعـزـ وـجـلـ-.

5 تـأـمـلتـ قـوـلـهـ -ـعـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ- : ((إـنـاـ رـأـيـتـ ذـلـكـ فـادـعـواـ اللـهـ وـكـبـرـواـ وـتـصـدـقـواـ وـصـلـوـاـ حـتـىـ يـفـرـجـ اللـهـ عـنـكـمـ))ـ، وـقـوـلـهـ: ((فـافـزـعـواـ إـلـىـ ذـكـرـهـ وـدـعـائـهـ وـاستـغـفارـهـ)). فـهـذـاـ تـوجـيـهـ عـظـيمـ مـنـ حـبـيـبـنـاـ -ـعـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ- أـنـ نـفـزـ فـيـ الـكـرـوبـ إـلـىـ الـاسـتـغـفارـ وـالـدـعـاءـ وـالـذـكـرـ وـالـتـكـبـيرـ وـالـتـهـلـيلـ وـالـصـدـقـةـ !

أـفـلـاـ نـسـتـحـضـرـ ذـلـكـ وـنـتـواـصـىـ بـهـ.. الـاسـتـغـفارـ وـالـدـعـاءـ وـالـتـكـبـيرـ وـالـتـهـلـيلـ وـالـصـدـقـةـ !

6 تـأـمـلتـ خـطـبـةـ رـسـوـلـ اللـهـ -ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- بـعـدـ صـلـاـةـ الـكـسـوفـ وـهـوـ يـقـولـ: ((يـاـ أـمـةـ مـحـمـدـ، وـالـلـهـ مـاـ مـنـ أـحـدـ أـغـيـرـ مـنـ اللـهـ أـنـ يـزـنـيـ عـبـدـهـ أـوـ تـزـنـيـ أـمـتـهـ). يـاـ أـمـةـ مـحـمـدـ لـوـ تـعـلـمـوـنـ مـاـ أـعـلـمـ لـضـحـكـتـمـ قـلـيـلـاـ وـلـبـكـيـتـمـ كـثـيرـاـ)). وـمـاـ فـيـ ذـلـكـ مـنـ بـلـاغـ وـإـنـذـارـ لـهـذـهـ الـأـمـةـ بـأـنـ الـمـعـاصـيـ سـبـبـ مـنـ أـسـبـابـ هـلاـكـهـ وـهـزـيـمـهـ. فـهـلـاـ اـنـتـصـرـنـاـ عـلـىـ أـنـفـسـنـاـ لـنـنـتـصـرـ عـلـىـ عـدـوـنـاـ، خـاصـةـ وـقـدـ اـشـتـدـ الـخـطـبـ وـعـظـمـ الـبـلـاءـ).

7 إـنـاـ وـالـلـهـ عـلـىـ يـقـينـ بـالـلـهـ -ـعـزـ وـجـلـ- أـنـ مـاـ تـمـ بـهـ سـورـياـ الـيـوـمـ، إـنـماـ هـوـ نـهـاـيـةـ الـظـلـامـ وـآخـرـ مـرـاحـلـهـ، فـقـدـ مـرـتـ عـقـودـ الـخـسـوفـ وـالـظـلـامـ وـهـيـ تـنـفـاـوتـ فـيـ شـدـتـهـاـ وـوـطـأـتـهـاـ، حـتـىـ حـدـثـ هـذـاـ الـخـسـوفـ الـكـلـيـ الـذـيـ عـمـ سـورـياـ مـنـ شـمـالـهـاـ إـلـىـ جـنـوبـهـاـ وـمـنـ شـرـقـهـاـ إـلـىـ غـربـهـاـ -ـأـعـنـيـ خـسـوفـ الـظـلـامـ وـالـبـغـيـ وـالـطـغـيـانـ-ـ وـقـدـ آذـنـ أـوـانـ النـصـرـ، لـيـنجـلـيـ الـظـلـامـ وـيـعـمـ الـنـورـ أـرـجـاءـ هـذـهـ الـأـرـضـ الـمـبارـكـةـ.

وـلـاـ بـدـ لـهـذـاـ مـنـ الـأـخـذـ بـأـسـبـابـ الـنـصـرـ، مـنـ الـلـجوـءـ إـلـىـ اللـهـ -ـعـزـ وـجـلـ- وـصـدـقـ التـوـكـلـ عـلـيـهـ وـدـعـائـهـ، وـكـثـرـةـ الـاسـتـغـفارـ وـالـتـهـلـيلـ وـالـتـكـبـيرـ، وـالـفـرـعـ إـلـىـ الصـلـاـةـ، وـإـلـاحـاحـ عـلـىـ اللـهـ بـالـدـعـاءـ فـيـ السـجـودـ وـبـالـأـسـحـارـ، فـهـوـ سـبـحـانـهـ يـحـبـ الـمـلـحـينـ الـمـخـبـتـينـ الـمـنـبـيـبـينـ.

{أـمـنـ يـجـبـ الـمـضـطـرـ إـذـاـ دـعـاهـ وـيـكـشـفـ السـوـءـ وـيـجـعـلـكـمـ خـلـفـاءـ الـأـرـضـ، أـلـلـهـ مـعـ اللـهـ؛ قـلـيـلـاـ مـاـ تـذـكـرـونـ}ـ.